المحاضرة الثانية : نظرية افعال الكلام

- **ما معنى الزمن البدائي ، وباي شيء يرتبط ، وما اسسه ، وكيف تشكل ..**

هذه هي الاسئلة التي تمثل مضمون هذا المدخل ؟

بدايةً يفترض الشعور بالزمن نمطا من النضج الفكري والقدرة على التأمل ولن يكون بمقدور البدائي وعي الزمن وعيا يهيء له ان يقول فيه شيئاً ذا قيمة(1) ويمكن القول ان نظرة العرب للزمن كانت على قدر مناسب من النضج فهم يلاحظون الطبيعه والانواء ويسمون اوقاتهم طبقا لمقتضياتها (2)

ان العقلية البدائيه للشعراء الجاهليين كان لها من التلقائية والعفوية ما يجعلها قريبة الشبه والملامح من رؤية الإنسان المألوف، في جدله مع عالمه ، ان فقدان الاحساس بغائية الوجود ، جعل القلق والخوف من الموت يسطيران على وعي الانسان البدائي بدرجه كبيرة ، ولهذا فان الانسان الذي ينظر الى الوجود والزمن في اطار هذا التصور الذي يرتبط بالتفسير الوجودي ، يفتقد الامن النفسي الذي ياتي من التسليم بالقضاء والقدر ، وبوجود قوى عليا عاقلة مدبرة حكيمة تنظم الكون وتضمن استمرار الوجود وسرمديته (3)،

ان هذه القوى العليا التي وقف الانسان امامها مندهشا منخذلا ومستسلما لحتمية الفناء والمصير ، دفعته الى ان يصطلح لحركة الاشياء اسما شاملا مرادفا لمعنى الوجود ، اطلق عليه اسم (الزمن) ثم اخذ يبحث عن مبادي العلة والابتداء هل الانسان كائن مخلوق في الزمن فيكون وجود الزمن موضوعيا ، ام ان هذا الزمن تشكل من احاسيس الذات الانسانية ، ويتلون بصورها المختلفة

1- العقلية البدائية ، ليفي بريل ، ص21 ، ترجمة د. محمد القصاص، منشورات مكتبة مصر ، د. ت

2- الانواء في مواسم العرب ، ابن قتيبة ، ص2 ، مط . مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط1، 1956

3- ينظر الانسان والزمان في الشعر الجاهلي ، ص14 .

فيكون هذا الزمن ذا وجود ذاتي (1) ((لقد ارتبط مفهوم الزمن بنمط النضج الفكري والقدرة على التأمل))(2) ولهذا فان تطور الفكر الانساني عموما جاء من خلال تطورالزمن، إلا ان اقدم مفاهيم الزمن ارتبطت ارتباطا وثيقا بالدين ، فكان الخوف من الطبيعة وعدم معرفة الانسان البدائي بكنه حقيقتها ادى به الى عبادتها تخلصا من فعلها الخارق الذي كان يصيبه بالكوارث فاعتقد بوجود ((قوى وراء الطبيعة تدير العالم))(3) لذلك اتسمت الحياة البدائية بطابع الاسطورة ، فالصراع بين الحضارة والبداوة او بين التخلف والتقدم هو في الواقع صراع بين اشكال زمانية في اوعية آنية مختلفة ، وهذا ما تكشفه او تحاول كشفه الملحمة التأريخية او الملحمة الوجدانية من خلال تفاعل احداثها وتناقض صورها وتفاوت حركة ابطالها ، فالقوة والثقة والدعة والمتعة الكونية التي تدفع الشعراء ولا سيما شعراء الملاحم نحو العالم ، قامت ايضا على الادراك الحسي للزمن لا لكونه عاملا يؤدي الى الموت والعدم ، بل كونه اتجاها يقودنا نحو ضياء المستقبل (4) كما تروي لنا الاساطير اليونانية القديمة ((ان كروتوس آله الزمان ، هو ابن للسماء ، وتذهب الاساطير ايضا الى تصويره يلتهم ابناءه ، ومعنى هذا هو استيعاب الزمان لكل الاحداث))(5) ان الفكر الديني يسهم بشكل

او بآخر في الغاء دائرية الزمان حين يجعله خطا مستقيما يبدأ بخروج آدم من الجنة وينتهي بقيام الساعة ، بل يزيده بنقاط ذهنية فريدة غير قابلة للتكرار كلحظة الخلق او ظهور الرسالة ، او تجسد المسيح

1- ينظر الزمن في شعر الرواد ، سلام كاظم الاوسي ، ص6 .

2- العقلية البدائية ، ص21 .

3- الشعر الصوفي ، عدنان حسين العوادي ، ص13 ، بغداد ، د. ت .

4- ينظر الزمن في ملحمة كلكامش ، د. عناد غزوان ، ص44 ، مجلة الموقف الثقافي ، ع34 ،

2001 .

5- الزمان ابعاده وبنيته ، د. عبد اللطيف الصديقي ، ص17 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

والتوزيع ، ط1 ، 1995 .

او الهجرة النبوية (1)

اما مفهوم الزمن في الفكر الاسلامي ، فقد عالجها القرآن الكريم بشكل واضح بعيدا عن التعقيدات الفلسفية المعروفة ، وفرق منذ البدء بين الوجود المتزمن والوجود اللا متزمن وربط بينهما ربطا عميقا يُقَوم اساس العلاقة بين المخلوق والخالق، والنسبي والمطلق(2) ففي قوله تعالى وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ

عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً3)) انه بيان من الخالق سبحانه وتعالى بانه خلق العالم في ستة ايام ، ولكن لا يذكر لنا ما طبيعة هذه الايام ، وكيف يكون بدون الكواكب او السموات (4) كما اشار القرآن الكريم الى قدرة الله تعالى في خلقه كما في قوله تعالى إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ5)) ولم يذكر طبيعة هذه الايام ، لان طول اليوم عند الله تعالى هو غير اليوم الانساني ، قال سبحانه وتعالى وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ6))

1- مقال اشكالية الزمان في الفلسفة والعلم : يمنى طريف الخولي ، ص17 ، مجلة الف ، ع9 ، 1989 .

2- ينظر في فلسفة الحضارة الاسلامية : د. عفت الشرقاوي ، ص256 ، دار النهظة العربية للطباعة

والنشر ، ط2 ، بيروت ، 1979 .

3- سورة هود : آية 7 .

4- ينظر الزمان في الفكر الدين والفلسفي القديم ، ص38 .

5- سورة (يس 36 – 38) .

6- سورة الحج 22 – 47 .

ف ((لم يعد الزمن في الحس الاسلامي فناءً ضائعا واصلا للشقاء ، كما وهم الشاعر الجاهلي الذي وقف على الزمن والاطلال وبكى واستبكى واستشعر العجز المطلق امام سطوة الزمن ، وإنما صار لكل ماتم من الافعال في الماضي وجود ثابت حي محفوظ في كتاب الاعمال ليوم الحساب ، اما المستقبل الذي يرتبط بمشكلة المصير، وما يتصل به من القلق الوجودي الذي كان سمة الشعر

الجاهلي – فقد تحول من السؤال والشك والتشاؤم المطلق والخوف من المجهول

والعجز امام قسوة الفناء الى التفاؤل والايمان بالخلود في حضرة السرمدية المطلقة التي هي مصدر كل وجوده))(1)